مكتبة الاسكندرية

كتب الينا بعض قرآء مجلتنا يقول انهُ لم يرَ فيما كتبناهُ عن مدرسة الاسكندرية ذكراً لما يقال عن احراق مكتبتها بامر الامام عمر لا اثباتاً ولا نفياً وان الذي يترجح بنـآءً على ما رويناهُ من امر تلك المكتبة ان الخبر لا صحة لهُ لان الجانب الاكبر منها احرق في زمن يوليوس قيصر عند احراقهِ لاسطولهِ وما بقي منها في هيكل سرابيس نُهب قبل الفتح الاسلامي بمدة ٢٥٠ سنة فلم يبقَ منها شيء الى زمن عمر

قلنا انا لم نتعرض لذكر هذه المسئلة لغموض امرها وخفآء دليلها وكثرة الخلاف فيها بين المؤرخين . على ان ما ذكرهُ حضرة المكاتب لا ريب فيهِ فان الكتب التي جمعها البطالسة ذهبت كلهـا في الحادثتين المذكورتين ولم يبقَ شيءٌ منها لا في المدرسة ولا في الهيكل . لكن ذكرنا هناك انهُ بعـد احراق المكتبة الكبرى على يد يوليوس قيصر نقل مرقس انطونيوس الكتب التي وجدها في مكتبة برغاما الى الاسكندرية وهي تبلغ نحواً من ٢٠٠ الف مجلد فاتُّخذت عوضاً من الكتب الهالكة . والظاهر ان المدرسة لم تحترق عند احراق المكتبة لان التدريس بقي متتابعاً فيهـا الى اواخر القرن الرابع للميلاد فلا بد ان يكون موضع المكتبة قد رُمّم بعد الحريق والاقرب على هذا ان تكون الكتب المذكورة قد جُعلت فيهِ في موضع تلك وحينئذٍ فان صح ما قيل عن عمر فيكون ما احرقهُ هو هذه البقية . على ان من المؤرخين من ذكر ان كتب برغاما وُضعت في هيكل سرابيس لا في المدرسة كما نقلهُ

جيرَند في مؤلفٍ لهُ كتبهُ سنة ١٨٤٠ فتكون قد نُهبت فيما نُهب من الهيكل المذكور والله اعلم

على ان اول مؤرخ ذكر احراق المكتبة بامر عمر هو عبد اللطيف البغدادي الطبيب المتوفى سنة ١٢٣١ م اي بعد فتح الاسكندرية بما يقرب من ست مئة سنة وذكر هذه الحادثة بعدهُ ابو الفرج المَلَطيّ اسقف حلب المتوفى سنة ١٢٨٦ ومحصل ما رواهُ ان يحيى النحوي من اهل الاسكندرية كان لهُ اتصالٌ بعمرو بن العاص وكان عمرٌو يجلُّهُ لعلمهِ فقال لهُ يوماً انكم قد استوليتم على كل ما في الاسكندرية واستأثرتم بجميع اموالها وذخائرها ولكن ثمَّ اشيآء ليست من حاجتكم فهل تدَعونها لنا قال وما تلك الاشيآء قال كتب الفلسفة التي في خزائن الملوك فقال ليس لي ان افعل الا بعد استئذان امير المؤمنين عمر بن الخطاب وكتب الى عمر في ذلك فكتب اليهِ عمر يقول اما الكتب التي استنزلت رأيي فيها فان كانت موافقةً لما في كتاب الله ففي كتاب الله غنًى عنها وان كانت مخالفةً لهُ فلا حاجة لنا بها فأتلفوها فوزعها عمرو بن العاص على حمامات الاسكندرية فلبثت توقد منها مدة ستة اشهر

ومما يجدر بالذكر هنا ان ما رواهُ ابو الفرج في احراق مكتبة الاسكندرية يشبه ما رواهُ ابن خلدون في احراق مكتبة فارس على ما نقلناهُ في احد اجزآء السنة الماضية قال لما فُتحت ارض فارس وجدوا فيها كتباً كثيرة فكتب سعد بن ابي وقاص الى عمر بن الخطاب يستأذنهُ في شأنها وتنفيلها للمسلمين فكتب اليهِ عمر أن اطرحوها في المآء فان يكن ما فيها هدًى فقد هدانا الله باهدى منهُ وان يكن ضلالاً فقد كفاناهُ الله فطرحوها

في المآء او في النار . اهـ . وقد وهم بعض مؤرخي الافرنج [1] فزعم ان رواية ابي الفرج في مكتبة الاسكندرية منقولة عن رواية ابن خلدون فيما ذكرهُ عن مكتبة فارس غير انهُ بدَّل بلاد فارس بالاسكندرية وسعد بن ابي وقاص بعمرو بن العاص قال وذلك ان ابا الفرج كان في القرن الثالث عشر وابن خلدون في القرن الثامن فهو متأخر عن ابن خلدون بنحو ٦٠٠ سنة . وقد اختلط على هذا المؤرخ التأريخ الهجري بالتأريخ الميلادي فان ابن خلدون كان في القرن الثامن للهجرة لا للميلاد وكانت وفاتهُ سنة ١٤٠٦ للميلاد اي بعد وفاة ابي الفرج بمدة ٢٢٠ سنة وحينئذٍ فان كانت احدى الروايتين منقولةً عن الاخرى فأحر بالامر ان يكون على العكس اي ان تكون رواية ابن خلدون منقولةً عن رواية ابي الفرج ولكن ذلك مستبعدٌ جدًّا . على ان تشابه الروايتين لا يمنع ان تكونا كلتاهما واقعيتين لان من امر باحراق المكتبة الواحدة لسبب اوجب ذلك عندهُ لا يبعد ان يأمر باحراق الاخرى للسبب عينهِ . ولكن اعظم حجةٍ تذكر هنا ان هذه الحادثة مع جسامتها وشهرتها لم يذكرها احدٌ من المؤرخين الذين سبقوا عبد اللطيف البغدادي ومنهم سعيد بن البطريق وهو احد مشاهير مؤرخي العرب وكانت وفاتهُ سنة ٩٤٠ للميلاد اي قبل عبد اللطيف البغدادي بنحو ٣٠٠ سنة وهو مولود مصر وفيها قضى حياتهُ كلها الا ان يكون قد سكت عن هذه الحادثة لامرٍ ما والله اعلم

(١) Ludovic Lalanne